مكتبة مصر وصدية مبعد وصدية

هذه وديعتك

إعداد أمير سعيد السحار

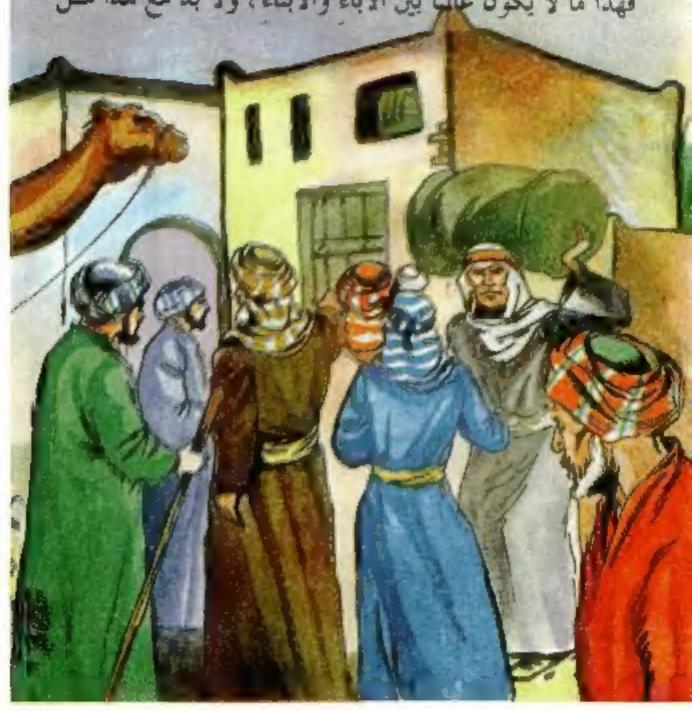


رسوم : عد الرحمن بكر الفائد مكتبية مصر ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة بينما كان عمر بن الخطاب منهمِكًا في توزيع العطايا والهبات على مستحقيها ، وهو فرح مسرور بما يجد في هذه السبيل من عَناء ونصب ، لأنه يعث في نفسه برد الراحة ، ويشعر بقيامِه بما يجب عليه نحو رعيته ، التي ولي أمرها ، وخشي عاقبة التقصير في أمر هذه الولاية التي شرقه الله بها .

وكيف لا يكون كذلك وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كانت حياته كلها وقفاً خير الإسلام والمسلمين ، ولم يهن في هذا السبيل ، ولم يضعف ، وإنما ظلم حافظاً للعهد ، مرابطاً يقِظاً ، سعيداً بهذه الحال ..

وبينما كان عمرُ منهمِكًا في التوزيع والتقسيم ، جاءه رجلٌ ومعهُ ابن له ، فنظرَ إليه عمرُ طويلاً ، وقد أخذ منه المنظرُ ماخذاً عظيمًا .. لم يكن الشّبَهُ بين الولدِ والرجلِ شبهاً معقولاً كما هو العادةُ في وجوهِ الشبهِ بين الآباءِ والأبناءِ ، وإنما كان شبهاً قوياً فإلى حد يملك عليك نفستك ، ويجذبُ بصرك نحو الوالدِ والولدِ ، ويربط عينيك إليهما فلا تكاد تصرف عنهم الطّرُف بحال من الأحوال ..

وكثيرٌ من الناس يكون الشبة كبيراً بينهم وبين آبائهم ، أو بينهم وبين إخوانهم ، بيد أنه لابدٌ من اختلاف نتيجة أن الولد يجمع من والده ووالدته. أما أن يكمل الشبة فلا تكاد تجد فرقًا إلا في الكبر والصغر ، وأن الوالد كبيرٌ والابن صغير ، فهذا ما لا يكون غالبًا بين الآباء والأبناء ، ولا بدّ مع هذا مس





شبه بالأم ، أو بمن هو من ذوي قُوباها . وإذا قيل : «الوليدُ خالِه » فليس معنى هذا أنه ليس فيه شبه من والده . وإذا قيل كذلك : « البنتُ لعمّتِها » فليس معنى هذا أنها لا تُشبه أمّها . وعمرُ بنُ الحطابِ عربي يفهم هذا ويدركه ، ويعلم حق العلم إلى أي حد يشبه الأبناء الآباء ، وهو الرجلُ الذي لا يقف عند كلّ صغيرة أو كبيرة ، وإنما يقف حيث لا مناص من الوقوف ، ولا مندوحة من التفكير .. ولم يكتف عمرُ بالنظرِ والتطلع إليه في صمت وكفى .

ولكن ما رآه ليس كما يراه النّاسُ في العادة ويدركونه ، وخاصة وقد رأى من تعلّق الولد بوالده ما ادهشه ، ومن تعلق الوالد بابنه ما جعله ينظرُ إليه ويطيلُ النّظرَ ، وقد شاعت في وجهه بسمة مضيئة ، وأشرقت في نفسه عاصفة وضاءة يشعرُ بها كلُّ والد ، حينما يرى حبًّا متبادلاً بينَ والد وولد ، وأب وابن . أجلُ ، لم يكتف عمرُ بالنّظر إليه في صمت ، ولكنه حادثَه في حنان وشفقة قائلا :

- ما رأيتُ أحداً أشبة بأحدٍ من هذا بك.

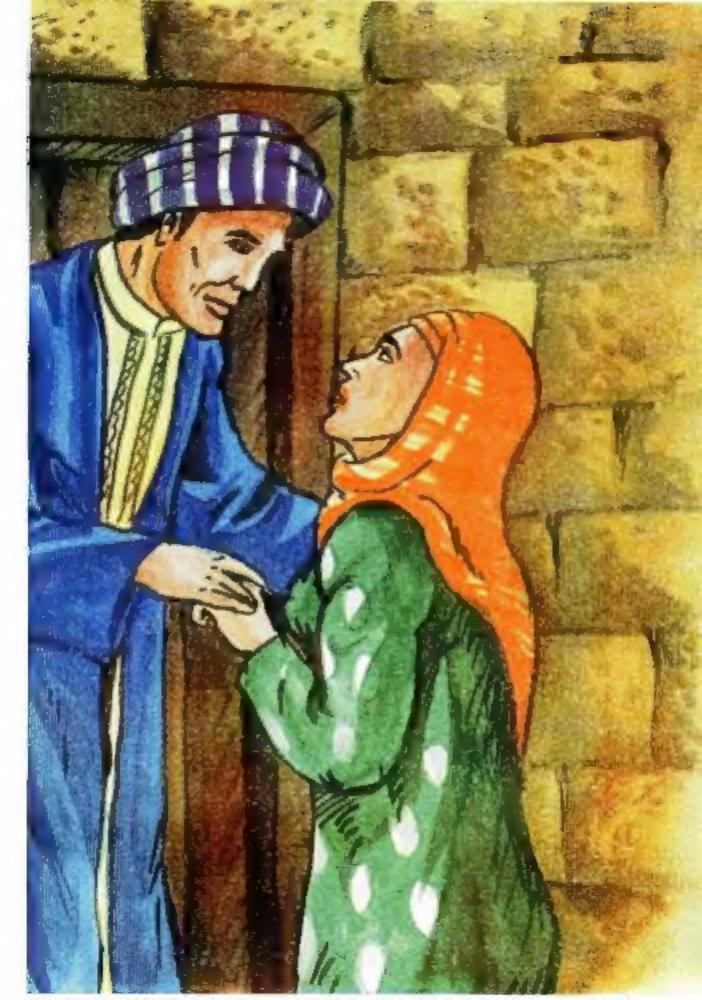
وأشار إلى الولد في رحمة غامرة ، وكأنما هو يرياد أن يحمله بين أحضانه بدلاً منه ، وانتظر قليلاً ، فأجابه الرجل :

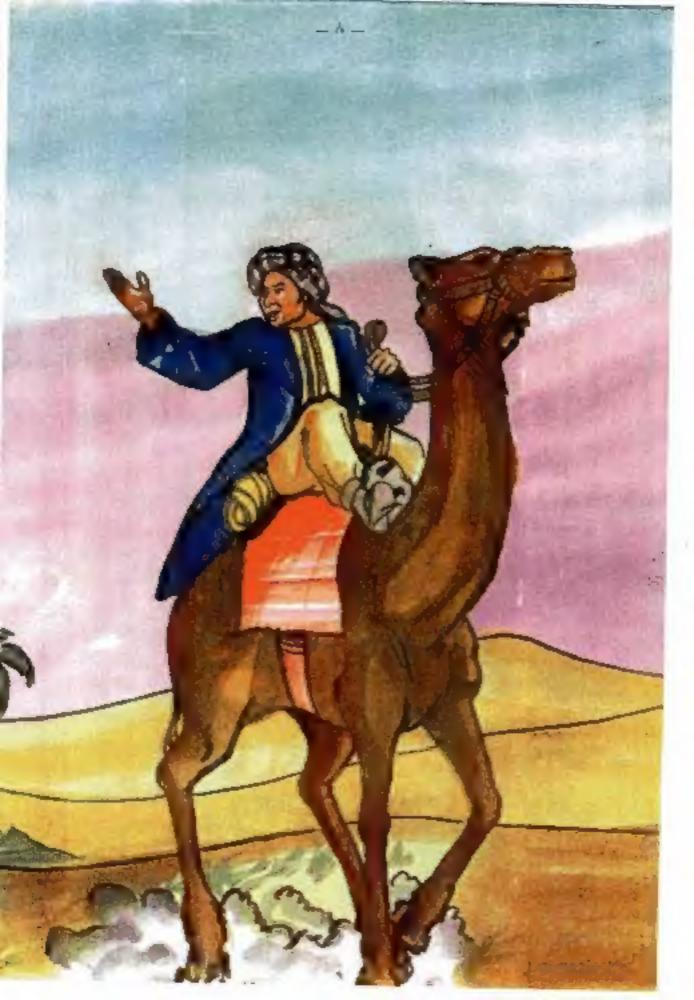
ـ هل أحدِّثك عنه يا أمير المؤمنين ؟
قال عمر في لهفة :

_ قُل

- كانت لى زوجة أحبها ، وأوثرها على نفسى ، ويعلم الله أن حبى ها كان بدافع خفى غريب ، أساسه حب الولد ، فكنت أرى أن الغاية من الزواج ليس هو المتعة فحسب ، والصلة بين الزوجين ، تقوى بينهما الأواصر ، وتنعقد الروابط ، على أمّ ما يكون بين شيخصين ، وإنما هو للنسل والذراري التي تملاً البيت بركة ورحمة ، ورزقًا ونوراً .

وكانت زوجتى تعرف هذا عنى ، وتفهمه تمام الفهم ، ولم تبخل على نفسها بالعناية والرعاية حينما أحسّت بالحمل ، وشعرت بالجنين يتحرّك في أحشانها ، فكان هذا التعب الذي يشعر به غيرها أساس سعادتها ، ومَلاك متعتها وفرجها الغامر.

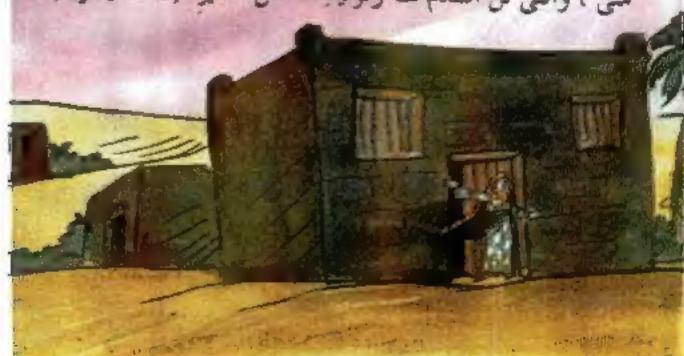




وظلت مدة الحمل تثب من الفرح والغبطة كما يثب الغزالُ الشاردُ ، لا تجدُ وهَناً ، ولا يدركُها ضعفٌ ، حتى قرُبَ موعدُ الهضع .

واضطررت إلى سفر ، ما منه عفر ، لشدة الحاجة إلى يعض الأشياء التى تعيننى ، وتدخل فيما لا يمكن الاستغناء عنه .. وحاولت صرف النظر عن هذا السفر الطويل ، فلم أغكن من هذا ، فقلت في نفسى : ولماذا أتجشم هذا العناء ، وأفكر فيما لا يصح أن أفكر فيه ؟ وماذا يفيدها وجودى إذا أراد الله بها وبمن في بطبها _ الضر ؟ !

وايقنت أن الله سبحانه وتعالى أرحمُ بها ، وبمَـن في بطنها منى ، وأننى لن أقدمَ لها ولوليدِها من الحير إلا ما يُجريه

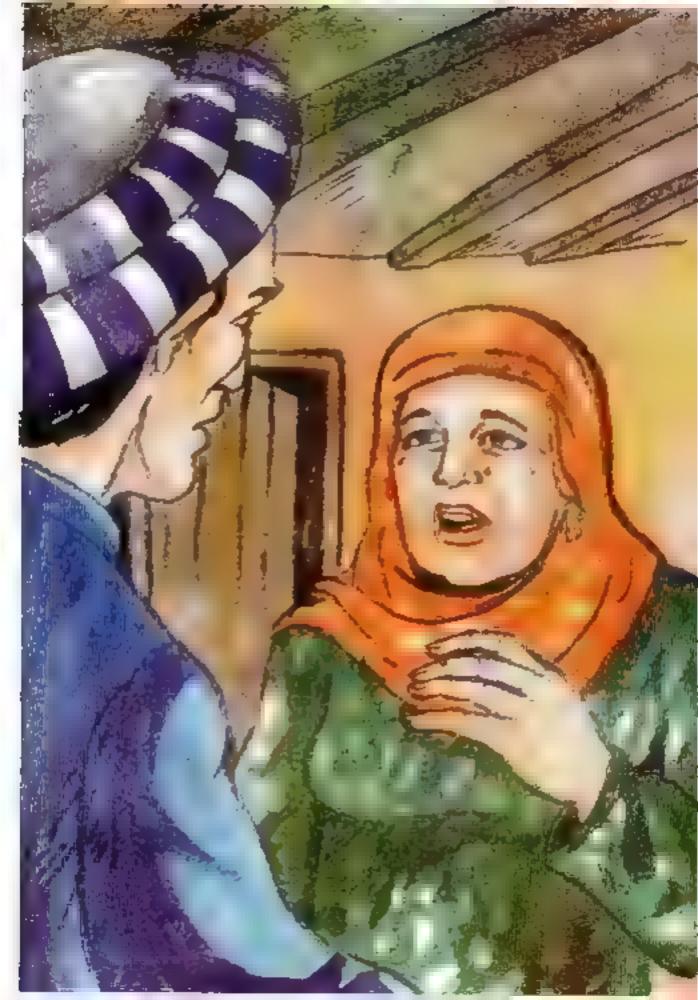


سبحانه على يدى ، فإذا لم أكس بجانبها فإنه سبحانه وتعالى سيستر لها من يكفيها أمرها ، ويوفر لها حاجتها . ويقضى لها ما نريد .

وتجهزت لهذا السفر الذي أريدُه ، وعند ما أردت الخروج من الدّارِ ، قالت لى زوجتي في ضراعةٍ واسترحام :

- أغرجُ وتدعنى على هذه الحالِ ؟ أعانى من آلامِ الحملِ ما أقاومه بالفرحة الغامرة ، وأداريه بالأملِ القريب .. وإنك إذا خرجت إلى مسفوك فسيجتمع على ألمان ، المم الحنون لغرافك، وألم الحمل ، وها أشق آلام الحمل حينما أضعف بالتفكير في بعدك ، إنها لتنهش القلب ، وتلذع الفؤاذ ، وتوهن القوى ، فلن أكون كما تعوف نشاطاً وعزمًا وحزمًا ، بل سرعان ما يسود الخمول والوجوم .

وأحسَسَ لقولها صدى في نفسى ، وخفت أن يؤتّر عليها الفراق فيتأثر الجين ، وربما أضر به هذا إلى حد كبير ، ولكن سرعان ما ألهمنى الله الجواب ، فما أيسر أن تُلقي بحملك في أمانة الله ، الذي يرعى ما يُؤتمن عليه رعاية تامة ، ويحفظه



لكَ على خير ما تصبو إليه نفسُك .

ــ أستودعُ اللَّهَ ما في بطيكِ .

وكأنما وقعت هذه الجملة بوداً وسلامًا على زوجتى ، واستشعرت عظمة اللهِ وجلاك ، وأن رعايت الله وأوفى من رعايت فا ولجنينها ، فهدأت نفسها الجياشة ، واطمأن فؤادها المضطرب ، وأمن قلبها الخائف ، وقالت في هدوء وحنان : في سلامة الله ذهابك وأوبتك .

ومضيتُ إلى وجهتى ، هادِئَ الخاطرِ ، مرتاحَ الضميرِ ، لا الفكرُ الله في الجنين الذي استودعتُه الله ، ولم الفكرُ مرّةُ واحدةً في زوجتى التي تحمله في بطنِها وهنا على وهن ، ولستُ أدرى سبباً لهذا ، ولكن الواقعَ ما أقررُه وأحكيه كما هو .

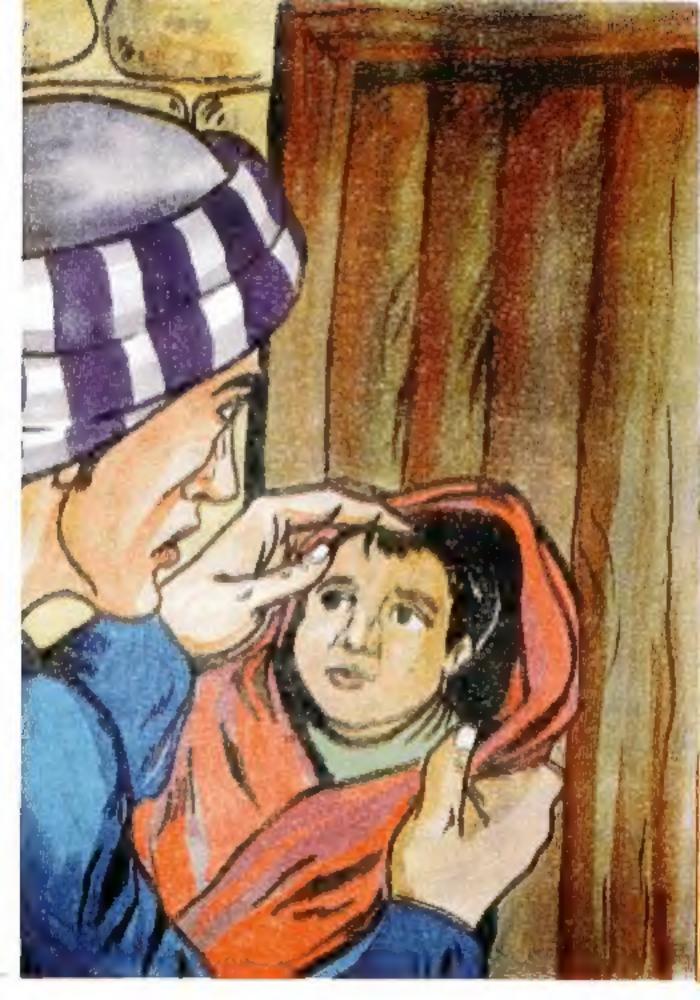
وطال السَفر ، وطال غيابي عن زوجتي وانقطعت الجبارُها عنى ، وأخبارى عنها ، فليس من اليسير أن تنصل الأخيارُ في الصحارى والقِفار، إلى أن أذن اللّه بانقضاء مدة السَسفر ، وقضيت ما كنت أريد قضاءه ، ثم عدت إلى بيتى ، وكلّ



امل أن أرى ولداً تركته في رعاية الله وكنفه ، وهذا ما وقع ، فها كدت أصل حتى سألت عن ولدى الذى كان جنيناً حيسن رحيلي فأخبرت بموت زوجتي ، وأنها تركت لي هذا الولد الموعدت إلى صوابي حين ذاك ، ولم تنم الفرحة ، فهذه المرأة كنت أحبها، وأوثرها على نفسى ، فهي طبّعة إلى أبعب حد ، تعرف حق الزوج على أكمل وجه ، وتعمل لكل ما يرضاه ألف عساب وحساب وحساب وحساب وحساب وحساب وحساب وحساب وحساب وحساب وحساب

وهنا أحبيب كأنما ضاق صدرى ضيقاً أظلمت معه جوالب الحياة الرّحية ، فلا تكادُ تتنفّس أو تشعرُ بلذاذة المواء ، وجمال النسيم .

ودُمعت حينداك عينائ ، ولكنها دموغ غزيرة حارة ، فلت أنها لدَعت خدى ، وقرحت جفنى ، وطاف بى طائف غريب ، وكأنما أسمع صوتًا لا أتبين حقيقة أمره ، فأصَحت في انتباه وروعة ، وأنا أردد في نفسى : والله لقد كانت صوامة قوامة . وإن فقدها لخسارة . وفجأة استمعت إلى صوت خافت، ولكنه واضح النبرات ؛ وكأنما هو مَلَك من ملائكة السّماء :



وانقطع الصوت ، ولم أعد أسمع شيئاً ، وهنا أحسست بجُرقة تكوي قلبى وفؤادى ، فلقد ذكرت أننى لم أستودعها الله .. وإنما استودعت الله ما في بطنها فحسب ، وهذا كان كل همى عندما هممت بالسفر ا

وصمت الرّجلُ مطرقاً مفكرًا!

وصمت عمرُ احترامًا لصمتِه وتفكيرِه ، ثم قال مُسلياً له ، ومرقّهًا عنه بعضَ ما يجدُ من حُرقةِ الفِراقِ ، ومرارةِ الأسى واللوعةِ :

إنه الأشبة بك من الغراب بالغراب ا فتبستم الرجل ، ومضى يحمل ابنه .. وبَقِي عمرُ راثياً لحاله ، داعياً له بالصبر والسلوان .. !

